الباب الثاني

في كراهة تسخط البنات

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا[1] إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[2]. فقسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرضاً لمقته أن يتسخط ما وهبه. **وبدأ سبحانه بذكر الإناث، فقيل:** جبراً لهن لأجل استقبال الوالدين لمكانهما. **وقيل:** وهو أحسن: إنما قدمهن؛ لأنّ سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاء الأبوان، فإنّ الأبوين لا يريدان إلاّ الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء، فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء ولا يريده الأبوان.

وعندي وجه آخر: وهو أنه تعالى قدّم ما كانت تؤخّره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهن[3]، أي: هذا النوع المؤخر الحقير عندكم مقدّم عندي في الذكر. وتأمّل كيف نكّر سبحانه الإناث وعرَّف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف، فإنّ التعريف تنزيه كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم لما ذكر الصنفين

---

(١) يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم. والتزويج هنا: الجمع بين البنين والبنات.
وفي هذا التقديم للإناث على الذكور: اعتناء بهن، وتأنيساً. قال واثلة بن الأسقع: (من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر». انظر: تفسير التسهيل (٤/ ٢٤).

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) الوأد: الدفن، ووأدها: دفنها وهي حية. وهي: وئيد، وموءودة، والصواب [يئدونهن].

معاً، قدّم الذكور إعطاء لكلّ من الجنسين حقّه من التقديم والتأخير، والله أعلم بما أراد من ذلك.

والمقصود أنّ التسخط بالإناث من أخلاق الجاهلية[١] الذين ذمهم الله سبحانه في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢] وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا[٣] وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٤] ومن هنا عبّر بعض المعبِّرين لرجل قال له: رأيت كأنّ وجهي أسود. فقال له: ألك امرأة حامل؟ قال: نعم، قال: تلد لك أنثى.

وفي صحيح مسلم، من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا. وضم أصبعيه»**[٥].

وروى عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: جاءت امرأة ومعها ابنتان لها تسألني، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فشقتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت هي وابنتاها، فدخل رسول الله على إثر ذلك فحدّثته حديثها، فقال رسول الله ﷺ: **«مَن ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كنّ له ستراً من النار»**[٦]. رواه ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عروة، وهو الصحيح، والحديث في مسند أحمد[٧].

وفيه ـ أيضاً ـ من حديث أيوب بن بشير الأنصاري، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يكون لأحد ثلاث بنات أو بنتان أو أختان، فيتقي الله فيهنّ ويحسن إليهنّ إلاّ دخل الجنة»**. ورواه

---

(١) انظر: التسهيل (٢/ ١٥٦).

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٣) السواد هنا: عبارة عن العبوس والغم.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٧.

(٥) عال جاريتين: أنفق عليهما حتى تبلغا، والجارية: البنت، من فروعه أو أرحامه.

(٦) (٧) انظر: كشف الخفا (٢/ ٢٣٥) رقم (٢٤١٣) وكذا لدى الترمذي، والبخاري، والطبراني في الأوسط.

الحميدي، عن سفيان، عن أبي صالح، عن أيوب بن بشير، عن سعيد الأعشى، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ: **«مَنْ كان له ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن، واتقى الله فيهن دخل الجنة»**[١].

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: عن ابن جريج، حدثني أبو الزبير، عن عمر بن نبهان، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهنّ**(*) **وعلى ضرائهنّ دخل الجنة»**[٢].

وفي رواية: فقال: يا رسول الله واثنتين؟ قال: **«واثنتين»**، قال: يا رسول الله وواحدة؟ قال: **«وواحدة»**.

وقال البيهقي: حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا الأصم، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا عثمان بن عمر، أنبأ نهاس، عن شداد بن عمار، عن عوف بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كان له ثلاث بنات ينفق عليهن حتى يبنّ أو يمتنَ، كنَّ له حجاباً من النار»**[٣].

وقال علي بن المديني: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا النهاس بن قهم، حدثنا شداد أبو عمار، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد مؤمن يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن، حتى يبنّ أو يمتنَ إلاّ كنَّ له حجاباً من النار»**. فقالت امرأة: يا رسول الله وابنتان؟ قال: **«وابنتان»**. قال: وقال أبو عمار عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة»**[٤].

وروى فطر بن خليفة، عن شرحبيل بن سعد، عن ابن عباس، قال: قال

---

(١) انظر: كشف الخفا (٢/ ٢٧٣) رقم (٢٥٨٤). والضراء مقابل السراء، والمقصود: الصبر عليهن وعلى حسن تربيتهن.

(*) اللأواء: الشدة.

(٢) انظر: كشف الخفا (٢/ ٢٧٣) رقم (٢٥٨٤). والضراء مقابل السراء، والمقصود: الصبر عليهن وعلى حسن تربيتهن.

(٣) يشبه ما سبق، انظر: كشف الخفا (٢/ ٢٧٣) رقم (٢٥٨٤)، واللفظ فيه (من كانت).

(٤) السفعاء: مسفوع العين: غائرها، وهي سفعاء: شاحبة اللّون، لكثرة تعبها ونصبها بتربية أولادها.

رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يكون له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبهما وصحبتاه إلا أدخلتاه الجنة**»[١].

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن ابن المنكدر، أنّ النبي عليه السلام قال: «**مَنْ كانت له ثلاث بنات أو أخوات، فكفهنّ وآواهنّ وزوجهنّ دخل الجنة**». قالوا: أو ابنتان؟ قال: «**أو ابنتان**» حتى ظننّا أنهم لو قالوا: أو واحدة، قال: «**أو واحدة**» هذا مرسل[٢].

وقال عبد الله بن المبارك: عن حرملة بن عمران، قال: سمعت أبا عشانة، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كانت له ثلاث بنات فصبر عليهنّ، فأطعمهنّ وسقاهنّ وكساهنّ من جِدَّتِه**[٣]**، كُنَّ له حجاباً من النار**». رواه الإمام أحمد في مسنده.

وقد قال تعالى في حقّ النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٤] وهكذا البنات ـ أيضاً ـ قد يكون للعبد فيهنّ خير في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتهنّ أن يكره ما رضيه الله وأعطاه عبده. وقال صالح بن أحمد: كان أحمد إذا ولد له ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات. ويقول: قد جاء في البنات ما قد علمت. وقال يعقوب بن بختان: ولد لي سبع بنات، فكنت كلّما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل، فيقول لي: يا أبا يوسف! الأنبياء آباء بنات، فكان يُذهب قولُه همي.

---

(١) وانظر قريباً منه في: كشف الخفا (٢/ ٢٣٥، ٢٧٣)، رقم (٢٤١٣، ٢٥٨٤).

(٢) المرسل: ما سقط منه صحابي، ورفعه التابعي إلى رسول الله ﷺ في الحديث: معجم الفقهاء (٤٢١).

(٣) جدته: بَذْلِه وعطائه وماله، ورزقه.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٩